

الكشاف

والعهد : الموثق . وعهد إليه في كذا : إذا وصاه به ووثقه عليه . واستعهد منه : إذا اشترط عليه واستوثق منه . والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد ا : أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا . فإن قلت : فما المراد بعهد ا . قلت : ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى : " وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى " الأعراف : أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول A - يصدقه ا بمعجزاته - صدقوه واتبعوه ولم يكفوا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله : " وأوفوا بعهدكم أوف بعهدكم " البقرة : . وقوله في الإنجيل لعيسى صلوات ا عليه : " سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريته إياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهده إليهم " وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق ا تعالى وأوفوا بعهد ونصره إياهم وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهده لأن اليهود فعلوا ا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد لا أن عليهم العهد ا أخذ هو : وقيل . A بمحمد كفروا كما به وكفروا والجحود التحريف A يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم . وقيل : عهدا إلى خلقه ثلاثة عهود : العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية ادم الإقرار بربوبيته وهو قوله تعالى : " وإذا أخذ ربك " الأعراف : وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة وقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله تعالى : " وأخذنا من النبيين ميثاقهم " . الأحزاب وعهد خص به العلماء وهو قوله : " وإذ أخذ ا ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه " آل عمران . والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد ا من قبوله وإلزامه أنفسهم . ويجوز أن يكون بمعنى توثيقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة . ويجوز أن يرجع الضمير إلى ا تعالى أي من بعد توثيقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه و انذار رسله . ومعنى قطعهم ما أمر ا به أن يوصل : قطعهم الأرحام وموالاتة المؤمنين وقيل : قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض . فإن قلت : ما الأمر . قلت : طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه . وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بأمر يأمره به فقيل له : أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن . والشأن : الطلب و القصد . يقال : شأنه أي قصدت قصده " هم الخاسرون " لأنهم استبدلوا النقص بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها .

" كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم "

معنى الهمزة التي في " كيف " مثله في قولك : أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب . ونظيره قولك : أظير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فإن قلت : قولك : أظير بغير جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر بغير مستحيل مع ما ذكر من الإمامة والإحياء . قلت : قد أخرج في صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان . فإن قلت : قد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيدان باستحالته في نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول في " كيف " حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم . قلت : حال الشيء تابعة لذاته فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحالة فكان إنكار حال الكفار لأنها تتبع ذات الكفر ورديفها إنكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ . وتحريره : أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها . وقد علم أن كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده . ومحال أن يوجد بغيرصفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني